من أفواه الأعداء

(الجزء العاشر)

لم يتعوّد المجاهدون أن يروا طائرات الصليب والطاغوت تقصف "الخوارج" دفاعا عن "أهل السنة والجماعة" إلا في عصر "الربيع العربي"، فحينما تأتي طائرات الكفرة الفجرة لتقصف وتحمي تحالف الصحوات بما فيه جبهة الجولاني وليتقدم تحالف الصحوات على الخلافة الإسلامية تحت غطاء تحالف الصليبيين، فاعلم أنه رغم البأس الشديد بينهم، ورغم تشتت قلوبهم، إلا أن بعضهم أولياء بعض.

فبعد أن تغلّب جيش الخلافة على صوران إعزاز، وأخرج تحالف الصحوات منها أذلّة، استنجد الائتلاف الوطني ومعه رؤساء الفصائل والمجالس في تركيا بأمريكا نيابة عن تحالف الصحوات (ولم يغفل الأمراء في أحرار الشام والجبهة الشامية عن المشاركة في هذا الاستنجاد)، وضغط الجمهوريان جون ماكين ولندزي غراهم على حامل لواء الصليب أوباما، فاستجاب أوباما لمطالبهم، وقُصفت الدولة الإسلامية في صوران إعزاز وما حولها بتاريخ "7 يونيو 2015" و"14 يونيو 2015" وغيرها من الأيام والليالي لصالح تحالف الصحوات.

وذكر "المرصد السوري لحقوق الإنسان" –الذي يديره المرتد رامي عبد الرحمن– في نشرة بتاريخ "7 يونيو 2015"، تعليقا على الحدث: "[نفذت] طائرات التحالف العربي – الدولي 4 ضربات على الأقل استهدفت تمركزات وتجمعات لتنظيم "الدولة الإسلامية" في بلدة صوران إعزاز بريف حلب الشمالي، والتي تشهد منذ نحو 10 أيام اشتباكات عنيفة بين التنظيم من طرف، وجبهة النصرة (تنظيم القاعدة في بلاد الشام) والفصائل الإسلامية والمقاتلة من طرف آخر، والتي شهدت قصفاً متبادلاً بين الطرفين وتدمير عربات ودبابات للتنظيم من قبل مقاتلي النصرة والفصائل باستخدام صواريخ التاو الأمريكية."

وقال مدير "المرصد السوري لحقوق الإنسان" رامي عبد الرحمن: "إنها المرة الأولى التي يدعم التحالف الدولي معارضة غير كردية في اشتباكات ضد مقاتلي تنظيم الدولة

الإسلامية"، وقال: "تشكل هذه الضربات دعما غير مباشر لحركة أحرار الشام وجبهة النصرة" (نسي استغاثة أمراء في أحرار الشام والجبهة الشامية بالتحالف الصليبي عبر الفضائيات وبالتغريدات)، وقال أن الضربات تشير إلى وجود "قرار أمريكي بمنع تقدم التنظيم من صوران إلى مدينة إعزاز الحدودية مع تركيا" [نقلا عن مقالة عنوانها "التحالف الدولي يستهدف الجهاديين قرب حلب لصالح فصائل إسلامية بينها النصرة"، نُشرت عبر موقع "المرصد السوري" بتاريخ "8 يونيو 2015"].

يبدو أن سياسة الصليبيين مع جبهة الجولاني هي تقليد لسياسة الطواغيت معها، فكما أن طواغيت تركيا وقطر وآل سلول يدعمون فصائل "جيش الفتح" بالدعم المشروط (فلا وجود لدعم غير مشروط، بشهادة الجولاني نفسه في حواره مع الجزيرة)، ثم يوزع الدعم على كل الفصائل المشاركة في "جيش الفتح" بما فيها جبهة الجولاني، كذلك الصليبيون يستهدفون الخلافة لصالح تحالف الصحوات رغم وجود جبهة الجولاني في هذا التحالف، وذلك من "البراغماتية" المتبادلة بين الإدارة الأمريكية وتحالف الصحوات المظلّة لجبهة الجولاني، "لا تحكموا بالشريعة حتى نقصف أعداءكم"، و"أوقفوا العمل ضد الصليب وإلا قصفناكم"، سياسة العصا والجزرة.

ربما هذه هي البداية لتنفيذ الاقتراحات المقدّمة من قبل العاملين في مراكز الدراسات السياسية الصليبية والتي نقلنا بعضها في فقرة "من أفواه الأعداء" من العدد السابق لدابق، وربما توقّف الأمر على قتل بعض الأمراء في تنظيم القاعدة، ليستسلم التنظيم بوجل مع إخوانهم في إمارة طالبان للسياسة الأمريكية، فلا الطالبان يهدّدون الأمن والأمان في دار الصليب، ولا التنظيم، وذلك بعد أن تبنّى الظواهري سياسات جديدة مخالفة لسياسات الشيخ المجاهد أسامة بن لادن (رحمه الله)، فجعل دور الصليبيين في أمان، وجعل الطواغيت عامّة في أمان، وجعل طواغيت ما بعد "الربيع العربي" في أمان، وجعل طواغيت الإخوان المفلسين في أمان، وجعل جيوش الردّة في أمان، وجعل همج الرافضة ورعاعهم في أمان.

بل، تجاوز الأمر إلى أن صارت "المصلحة القطعية" في ترك الحكم بالشريعة وأحكامها، "سياسات براغماتية" على حد زعم الصليبيين، وقال صحفيو "نيويورك تايمز" بتاريخ "9 يونيو 2015" تحت عنوان "القاعدة تجرّب تكتيكا جديدا للحفاظ على السلطة: إشراك غيرهم فيها": "بعد أن أخرجوا الجيش من جنوب اليمن، اقتحم مقاتلو القاعدة مدينة المكلا، وسيطروا على المباني الحكومية، وحرّروا جهاديين من السجن، وسرقوا ملايين الدولارات من البنك المركزي، ثم فاجؤوا الجميع، فبدلا من رفع راياتهم وفرض الشريعة، نقلوا السطلة إلى مجلس مدني وأعطوهم ميزانية لدفع الرواتب، واستيراد المحروقات، وتوظيف مجموعات لإزالة النفايات؛ ثم انسحب المقاتلون إلى وراء الكواليس، ليديروا فقط مركزا واحدا للشرطة وذلك لفض الخصومات..."

ثم قالوا: "أفرع القاعدة في اليمن وسوريا أوجدوا الآن هدفا مشتركا بينهم وبين الجماعات المحلية في ساحة المعركة..."

ثم قالوا "أفرع القاعدة في سوريا واليمن سلكوا طريقا مخالفا للدولة الإسلامية، فبنوا العلاقات مع الجماعات المحلية وامتنعوا عن فرض الشريعة بالقوة عندما واجهوا مقاومة محلية، حسبما يقول السكان في مناطق سيطرة القاعدة. فعندما سيطرت القاعدة على المكلا في أبريل، أخذت المباني الحكومية واستعملت الشاحنات لنقل أكثر من 120 مليون دولار من البنك المركزي ... وبعد ذلك بيسير، نقلت السلطة إلى مجلس مدني، وأعطته ميزانية تزيد على 4 مليون دولار لتقديم الخدمات، وهو اتفاق معقول برأي المسؤولين المحليين الذين يسعون إلى خدمة شعبهم في أوضاع الحرب. قال عبد الحكيم بن محفوظ –أمين سر المجلس– في حوار عبر الهاتف: "لسنا عملاء للقاعدة، نحن أسسنا المجلس لندفع الدمار عن المدينة". بينما يدفع المجلس الرواتب ويوزع المحروقات، تدير القاعدة مركزا للشرطة لفض الخصومات، حسبما يقول السكان، حتى الآن، لم تبذل أي جهد لمنع التدخين أو ضبط لباس النساء، ولم تسمي نفسها قاعدة، وإنما تسمي نفسها أبناء حضرموت لتأكيد علاقاتها بالمحافظة المحيطة للمدينة..."

ثم قالوا: "أما جبهة النصرة، فرع القاعدة في سوريا، فقد جعلت نفسها عنصرا أساسيا في القوات الثورية التي تسعى للإطاحة بالأسد، وأخيرا انضمت إلى تحالف من الثوار يطلق على نفسه جيش الفتح، فجعلت نفسها في نفس خنادق الجماعات المدعومة من قبل الغرب؛ وقال الجولاني –أمير جبهة النصرة– في حوار جديد مع الجزيرة، "هم مسلمون لا يختلفون شيئا عنا"، وذكر أن جماعته أُمرت من قبل أيمن الظواهري –أمير القاعدة عالميا– بأن لا يقوموا بعمليات عالمية قد تعرقل الحرب على الأسد..."

ثم قالوا: "يقول المدنيون المقيمون في مناطق جبهة النصرة أن الجماعة حصلت على دعم محلي، وامتنعت عن فرض الشريعة عندما عارض السكان، في حينها، مقاتلو النصرة يوزعون الطعام ويصلحون المجاري الصحية، وفي قرية بنّش، أرسلت النصرة فريقا إلى مباراة كرة القدم ضد جماعة ثورية أخرى، ولبس اللاعبون من النصرة ملابس تحترم الحشمة الإسلامية، وخسرت في المباراة ضد لاعبين كانوا يرتدون اللبس القصير؛ قال أحد الناشطين الحاضرين للمباراة "النصرة ليست متطرّفة، يوزّعون المطويات عند الحواجز ويدعون الناس إلى الدين"".

وفي سياق سياسات الطواغيت تجاه تنظيم القاعدة في سوريا، كتب الكاتب والصحفي المرتد أحمد رشيد في "نيويورك ريفيو أوف بوكس" بتاريخ "15 يونيو 2015" مقالة تبيّن حال التقارب والتصالح بين الأنظمة الطاغوتية وتنظيم القاعدة، وعنوان المقالة "لماذا نحتاج إلى القاعدة"! فمِمَّا قال فيها: "هل من الممكن أن تتحول الجماعة التي كانت تُعد أخطر تنظيم إرهابي في العالم لتصبح أفضل خيار متبقٍ للشرق الأوسط والولايات المتّحدة وحلفائها؟ ... هناك عناصر في التحالف الذي تقوده أمريكا ضد الدولة الإسلامية كتركيا والسعودية تدعم النصرة عمليا بالسلاح والمال [دعما غير مباشر، عبر غرف العمليات المشتركة والمجالس العسكرية والمدنية والمحلية، وبرضى الدول الداعمة وبعلمها] ... وكثير من الدول العربية تقف عمليا مع تنظيم القاعدة في جزيرة العرب في حرب تقودها السعودية ضد المتمرّدين الحوثيين في ذلك البلد ... والحق أن القاعدة تطورت بشكل كبير منذ وفاة أسامة بن لادن

وظهور الدولة الإسلامية ... والقاعدة فارقت الدولة الإسلامية بشدّة في الاستراتيجية والغايات على ساحة الحرب في سوريا واليمن."

وقال: "في هذه الحرب، الدول العربية تحاول علانية أن لا تقصف أو تستهدف النصرة ولا تنظيم القاعدة في جزيرة العرب، بل تدعمهم بالمال والسلاح [دعما غير مباشر، عبر حلفائهم من الفصائل]، وهذا لأن الجماعتين أعلنتا عن أهداف مشتركة مع الدول العربية ... فأصبحت النصرة وتنظيم القاعدة في جزيرة العرب حلفاء للدول العربية لا أعداء، وهذا رغم أن القاعدة كانت تسعى بنفسها لإسقاط هذه الأنظمة ذاتها."

ثم قال: "للعرب الحق في اعتقاد أن القاعدة تطورت، حيث سيطرت كلتا الجماعتين [القاعدة في سوريا والقاعدة في اليمن] على مدن وقرى في بلدانها ... ورسمت الجماعتان سياسات للسيطرة المحلية مخالفة بوضوح لسياسات الدولة الإسلامية."

ثم قال: "فانظر إلى النصرة، الخصم الأساسي في سوريا للدولة الإسلامية ... تتعاون النصرة مع غيرها من الجماعات المعارضة للأسد وانضمت مؤخّرا إلى جيش الفتح وهو تحالف من الفصائل العسكرية في شمال سوريا؛ وأكثر جنود النصرة سوريون، بخلاف القوات المقاتلة في الدولة الإسلامية والتي غالبها أجنبية غير سورية، وهذا يجعل النصرة أجدر بالثقة وأكثر ولاء لمستقبل سوريا، وفي نفس الوقت، أمراء النصرة –كما في مقابلات مع الجزيرة– وعدوا بعدم استهداف الغرب، وبذلك يدعمون إيديولوجية ممكن أن يُطلق عليها "الجهادية الوطنية" بدلا من الجهاد العالمي، وإن أمراء النصرة خفّفوا لهجتهم في الأشهر الأخيرة حول مسألة فرض الشريعة الإسلامية بالقوة، ومعها أخّروا خطتهم لإقامة خلافة لهم."

ثم قال: "وكثير من هذه التغيُّرات صارت واضحة في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب باليمن ... حيث سيطرت الجماعة على العاصمة المكلا، وسطوا على البنك، ثم انسحبوا، وتنازلوا

عن إدارة الحكم بأنفسهم أو الحكم بأحكام الشريعة، وإنما أقاموا مجلس وجهاء وشجعوا المجلس على إدارة الحكم وتقديم الخدمات للناس..."

وانتهى بقوله: "علينا أن لا نتفاجأ إن بدأت محادثات رسمية بين القاعدة والدول العربية في الأشهر القادمة."

وكتب "ياروسلاف تروفيموف" تقريرا مشابها في "وال ستريت جورنال" بتاريخ "11 يونيو 2015" تحت عنوان "إن فرع القاعدة في سوريا أصبح أخف الشَّرَّين بالنسبة إلى حلفاء أمريكا – فمع تقدم الدولة الإسلامية وسيطرتها على الأراضي، أصبحت الدعوات إلى تقارب أمريكا وحلفائها مع النصرة تزداد"؛ قال فيها: "مع حرب ثلاثية الأبعاد تدمر سوريا، هل ينبغي أن يصبح الفرع المحلي للقاعدة أخف الشرَّين والذي ينبغي أن يُداعَبَ لا أن يُقصَف؟ هذا هو الرأي الغالب عند بعض حلفاء أمريكا المحليين وحتى عند بعض الشخصيات الغربية السياسية ... القوات الثلاث الرئيسية في سوريا اليوم هي نظام الأسد، والدولة الإسلامية، وتحالف ثوري إسلامي والذي تلعب فيه جبهة النصرة دورا كبيرا، وهي فرع للقاعدة التي تُعدّ تنظيما إرهابيا من قبل الولايات المتّحدة والأمم المتّحدة؛ وبما أن الثوار الأشد علمانية والمدعومين من قبل الغرب يفوقهم غيرهم عددا وتسليحا، فإنهم وجدوا أنفسهم يقاتلون جنبا إلى جنب مع النصرة في معارك مهمة؛ وحيث أن نظام الأسد يترنّح، والدولة الإسلامية تتقدم في سوريا والعراق، فإن التقارب مع النصرة الأكثر براغماتية هو الخيار المنطقي الوحيد للمجتمع الدولي، كما يقول أنصار هذا النهج."

ثم قال: "في البداية، كانت تركيا وقطر أكثر الداعمين للثوار الإسلاميين المتعاونين مع النصرة؛ القوى المحلية الكبيرة –السعودية– كانت متردّدة خوفا من مناصرة القاعدة [أي عبر حلفاء القاعدة من الفصائل] ... لكن في الأشهر الأخيرة، تحرّك الملك الجديد للسعودية سلمان ليعمل بالتنسيق مع الدوحة وأنقرة في دعم تحالف الثوار الإسلاميين الذي يضم النصرة، وكما يقول بعض السياسيون والشخصيات الرسمية في المنطقة، هذه الدول ترى أن

الآلام الواقعة على سوريا بسبب النظام هي السبب الرئيسي وراء ظهور الدولة الإسلامية أصلا، ويفضلون رؤية النصرة وحلفائها في المناطق التي يفقدها النظام."

ثم قال: "على عكس الدولة الإسلامية، فإن النصرة أكثرها سوريون وآراؤها الدينية وإن كانت متطرفة إلا أنها أقل تطرفا بكثير، وفي حين أنها امتنعت عن استهداف إسرائيل رغم سيطرتها على قرى على الشريط الحدودي في الجولان، فإن هذه الجماعة حاربت الدولة الإسلامية وتعاونت مع الثوار غير الإسلاميين؛ قال فرادريك هوف والذي خدم الرئيس أوباما كالمبعوث إلى المعارضة السورية: "النصرة تجذب المقاتلين السوريين الشباب الذين ليس لهم هدف جهادي أو حتى طائفي متطرف"؛ وقد سعت النصرة لإظهار مفارقتها للدولة الإسلامية كما هو واضح في لقاءات جديدة لأبي محمد الجولاني مع قناة الجزيرة، حيث لبس الجولاني قميصا مزينا وستر وجهه، وجلس الجولاني على كرسي ذي ظهر عال يشبه عرشا كان يجلس عليه محافظ إدلب السابق، واستقبل أسئلة بتودد في الحلقتين الطويلتين والتي قال كثير من الناس فيها أنها محاولة من قبل قطر لتحسين صورة النصرة، وفيها أكد الجولاني ولاءها لأمير القاعدة أيمن الظواهري، لكنه قال أنه لن يستهدف الغرب، وقال بعض العبارات التصالحية حول الأقلية النصرانية."

ثم قال: "قال قائد أسطول في القوات البحرية جيمز إستافرِدِس والذي تقاعد قبل عامين بعد أن صار أعلى قائد في قوات الناتو: "مع تقدم الدولة الإسلامية، فالاحتمال الأكبر هو أن واشنطن ستسعى جاهدة لتكون راضية عن التعاون الناشئ بين حلفائها المحليين والنصرة"، وقال إستافردس أيضا: "من المستبعد أن نعمل جنبا إلى جنب مع كوادر النصرة، لكن إذا عمل حلفاؤنا معهم، فهذا مقبول، إذا رجعتَ إلى تاريخ الحرب العالمية الثانية، كانت عندنا تحالفات مع أناس كنا نخالفهم بشدة كـ"ستالين" روسيا، لكن لا أظن أن هذا الأمر سيمنع أمريكا من التعامل مع هذا التحالف.""

فبعيدا عن أخبارهم وتحليلاتهم، إلا أن الأمر صار الرأي الأكثر اقتراحا من قبل الصليبيين والمرتدين على الإدارة الأمريكية! فمتى يتوب الجنود في جبهة الجولاني ويعرفون أن قتالهم

للدولة الإسلامية لا يحقق إلا مصلحة حلفائهم في تحالف الصحوات –الذي هم جزء منه– وحلفاء حلفائهم (تحالف الصليبيين)؟ ومتى يصلح "عقلاء" القاعدة الحال قبل أن يصير تنظيم القاعدة بكل فروعه صحوة يقودها حقدها وحسدها وحزبيتها وسحر الإعلام ضد الخلافة المجدَّدة؟